

## الفصل العاشر

### الاتحاد الألماني

ساعد انتصار الحركة القومية في ايطاليا بعد تخلصها من الحكم النمساوي على احياء الأمل في انشاء الاتحاد الألماني خاصة وان النمسا كانت الخصم المشترك لكل من ايطاليا والمانيا ، حيث تركزت جهودها في العمل على كبت الحركات القومية في أوروبا وتحقيق أطماعها هناك لذلك قام المستشار النمساوي « مترنخ » بتوجيه الولايات الألمانية الى اجتماع في « كرلسباد » في عام ١٨١٩م وحصل على موافقتها على قرارات رجعية ضد مبادئ الحرية والمطالبة بالدستور كما نجح في تكبيم أفواه الصحافة .

هذا في الوقت الذي اتجهت فيه بروسيا الى زعامة المانيا ، واستطاعت أن تضع أسسا قوية لاقامة اتحاد الماني تحت زعامتها وساعدها على ذلك عدة عوامل هي :

١ — ظهور السياسي الشهير « أوتوفون بسمارك » Otto Von Bismarch على مسرح الأحداث وقدرته الفائقة على مواجهة المشاكل ، ومقدرته السياسية الفذة ونجاحه في الوصول الى ادارة الحكم في بروسيا وهو يحمل برنامجا يسمى لتحقيقه بطريقة علمية ألا وهو اقامة الوحدة الألمانية ونتيجة لذلك جذب الأنظار اليه خاصة وأنه كان خطيبا موهوبا ذرب اللسان لا يتراجع عن المضي في تحقيق أهداف بلاده ولو كان ذلك على حساب المبادئ .

٢ — تولية وليام الأول زمام الأمور في بروسيا عام ١٨٥٨م وقيامه بالعمل على أن تصبح بلاده دولة قوية وذلك عن طريق تنظيم الجيش للبروسي وزيادة اعداده .

٣ — ادراك المسئولين في بروسيا لأهمية الوحدة الاقتصادية بين الولايات الألمانية ، فقاموا بتأسيس الاتحاد الجمركى ( الزولفرين ) الذى كان له أكبر الأثر فى تجميع شمل الولايات الألمانية المتفرقة وتخليصها من المكوس الجمركية ، فبعد أن كانت بروسيا مقسمة الى عدة مناطق جمركية ، وكل منطقة لها ضرائبها الخاصة ، تم الغاء هذه الحواجز مما ساعد على رواج التجارة الداخلية .

وسرعان ما بادرت كل من بافريا وسكسونيا الى الانضمام الى ذلك الاتحاد مما ادى الى ظهور العديد من النتائج الايجابية .

٤ — اتجاه الحركة الثقافية فى الولايات الألمانية صوب أهداف قومية ، وعرضها لأفكار « هيجل » و « نيتشه » عن الدولة التى يجب أن تتمثل فيها وحدة الثقافة ، وعن دور الفرد فى خدمة الدولة ، ونتيجة لذلك ظهرت جماعة من المثقفين تنادى بوحدة المانية عن طريق برلمان يضم الأمة الألمانية كلها .

٥ — تنظيم الجيش البروسى وتجديده تحت قيادة « فون رون »  
Von Roon الذى يتمتع بقدر كبير من الكفاءة العسكرية ، مما قلب التوازن العسكرى فى وسط أوروبا رأسا على عقب .

ونتيجة للتنافس بين بروسيا والنمسا على تزعم الاتحاد الألمانى ، اشتد العداء بينهما الى حد النفور ومن أجل تقوية الفرصة على بروسيا فى قيادة الاتحاد الألمانى قامت النمسا بدعوة الأمراء الألمان لمؤتمر فى « فرنكفورت » للنظر فى الاصلاحات الدستورية المطلوبة حتى يتم تثبيت نفوذها فى المانيا ، ونتيجة لذلك فكر بسمارك فى احباط هذه الفكرة ، فاعترض على قيام النمسا بالدعوة لمثل هذا المؤتمر ورأى الا تمثّل بلاده فيه . ولما افتتح المؤتمر فى الرابع عشر من أغسطس ١٨٦٣م رأى بسمارك ضرورة توجيه ضربة الى النمسا ، فأرسلت حكومته بمذكرة الى المؤتمر اقترحت فيها بأنه يجب عند قيام أى اصلاح للاتحاد أن تكون بروسيا على قدم المساواة مع النمسا فى مسألة رئاسة الاتحاد ، وفى رفض التصديق على اشهار الحرب . وخلال ذلك الوقت حدثت ثورة فى بولندا ضد الروس ،

قامت روسيا باخمادها بقسوة وعنف مما أدى الى استنكار معظم شعوب أوروبا لذلك العمل ومطالبتها للروسيا بمنح بولندا استقلالاً داخلياً ، ولما دعيت بروسيا للاشتراك في هذا الاستنكار ، ظهرت براعة بسمارك السياسية حيث أنتهز هذه الفرصة في العمل على التقرب من روسيا وعدم مضايقتها حتى تقف بجانبه أثناء تنفيذ خطته خلال عمله على توحيد بلاده ، ضاربا بذلك اتجاه الرأي العام في بريطانيا وفرنسا ومعظم دول أوروبا عرض الحائط فعمد تحالفا مع روسيا حتى يضمن حدود بلاده الشرقية آمنة في حالة اعلانه الحرب على النمسا أو فرنسا ، اللذين كان يجد فيهما خصمين للوحدة الألمانية يجب قهرهما ، ومع أن هذا الموقف أغضب الدول الأوربية وأثار المعارضة في البرلمان البروسي فقد صمد بسمارك للعاصفة وظل على موقفه .

### مسألة الشلزويج والهولشتين :

منذ أن استلم بسمارك زمام الأمور في بروسيا كان يدرك مقدار العداء الذى تكنه النمسا للوحدة الألمانية ، مما جعله يعد العدة لمواجهة حربيا ، وقد وافته الفرصة في عام ١٨٦٦ عندما حدث الخلاف بين النمسا وبروسيا حول مقاطعتي الشلزويج والهولشتين .

وموضوع هاتين الدوقيتين هو أن ملوك الدنمارك كانوا يحكمونها منذ عام ١٤٩٠م ، ثم صارتا مكان خلاف بين الدنمارك من جهة وبروسيا والنمسا من جهة أخرى ، خصوصا وان سكان هاتين المنطقتين كانوا يرغبون في الانفصال عن الدنمارك وعلان الاستقلال عنها ، كما كان معظمهم من أصل المانى ، وكانت الدنمارك تتوق الى ضم هاتين الدوقيتين بصفة قاطعة الى ممتلكاتها ، كما كانت بروسيا والنمسا يتوقان أيضا الى ضمهما دون أى حق شرعى أو تاريخى لهما فيها ، وقد أدى ذلك الى ظهور نذير الحرب ومع أن بسمارك كان يرغب فى ضم هاتين الدوقيتين الى بلاده ، فانه خشى أن يتورط فى مشكلة سياسية قد تلحق الضرر بمستقبله السياسى ، ومن هنا رأى أن يشرك النمسا معه ، ونتيجة لذلك اشتركت النمسا بقواتها مع بروسيا فى محاربة الدنمارك وتمكنا من هزيمتها . وتقسيم الدوقيتين بينهما فأخذت بروسيا دوقية الشلزويج ، وأخذت النمسا دوقية الهولشتاين ،

ولما قام البروسيون في حفر قناة تصل بين بحر البلطيق وبحر الشمال ، اعترضت النمسا على ذلك لاعتقادها أن فيه تقوية لنفوذ بروسيا على حساب مصالحها ، وتعقدت الأمور ، واتضح لبسمارك أن المشكلة لن تحل إلا عن طريق الحرب خاصة وأنه كان يثق في قوة جيشه ، ومع ذلك فإنه أراد أن يضم إيطاليا إلى جانبه حتى يشغل القوات النمساوية على جبهتين كما أراد أن يضمن حياد فرنسا خلال حروب بلاده مع النمسا .

وبالنسبة لإيطاليا فقد وجه بسمارك جهوده لعقد محالفة معها ، وقد نجح في أن يحصل منها على تعهد بأن تنضم إلى بلاده في حالة وقوع حرب بينهما وبين النمسا بشرط أن تساعد بروسيا إيطاليا في الحصول على البندقية .

وبالنسبة لفرنسا فتمتد قبيل بسمارك الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث<sup>(١)</sup> وحصل منه على موافقه بحياد بلاده إذا وقعت الحرب بين بروسيا والنمسا وبذلك تمكن بسمارك في تطويق النمسا ، وبقي أمامه القيام باستئذنها حتى تبدأ بإعلان الحرب على بلاده لذلك بدأ في إثارة المشاكل معها ، وفي نفس الوقت حاول أن يظهر أمام الولايات الألمانية والراي العام الأوربي بمظهر المدافع عن حرية الشعوب ، واطهار النمسا من جهة ثانية بمظهر الدولة المعادية لحقوق الشعوب وللديمقراطية فاقترح على المجلس الاتحادي « الدايت Diète » أن تكون وفود الدول ممثلة لشعوبها لا لحكوماتها ، مما أثار النمسا فأعلنت معارضتها لهذا الاقتراح ، كما قطعت علاقاتها مع بروسيا في ١٥ يونيو ١٨٦٦ وبدأت في الاستعداد للحرب ، وهذا ما كان يسعى إليه بسمارك .

وقد بدأت الحرب بين الدولتين في منتصف يونيو ١٨٦٦ ، فأرسلت النمسا قوات قوامها مائتان وثلاثون ألف جندي لمواجهة القوات البروسية ، وفي ٣ يوليو ١٨٦٦ حدثت معارك حاسمة بين الطرفين ظهرت فيها براعة الجيوش البروسية ، وتميزها بالدقة العسكرية ، فاستطاعت سحق

(١) ابن أجو نابليون بونابرت .

القوات النمساوية التي واجهتها من الشمال الغربي في الأسبوع الأول من بداية الحرب ولم ينته الأسبوع الثالث من الحرب حتى سحقته القوات البروسية الجيش النمساوى في معركة « سادوا » Sadowa وأصبح الطريق الى العاصمة النمساوية مفتوحا ، ولكن بسمارك لم يرغب في اذلال النمساويين بدخول عاصمتهم وخاصة وأنه كان يريد وقوفهم على الحياد فيما اذا حارب فرنسا ومن هنا قبل الوساطة الفرنسية التي طلبتها النمسا ، وقد تم الاتفاق على ضرورة المحافظة على سلامة الاراضى النمساوية في نظير أن يتم حل الاتحاد الالمانى الذى تنزعه النمسا ويكون لبروسيا الحق فى انشاء اتحاد شمالي الماين كما يصبح لها الحق فى حكم الدوقيتين شلزويج وهولشتاين ، وقد وافق بسمارك على هذه الشروط ، لأن هدفه الرئيسى كان اقامة الوحدة الالمانية وليس اذلال النمسا اكثر من ذلك .

نعود الى موقعة سادوا ونتائجها . الواقع ان انتصارات الجيش البروسى فى هذه الموقعة قد قلب التوازن الدولى فى وسط اوربا وأثبتت نجاح خطط بروسيا الحربية ، وتفوق مدفيعيتها ، والمهارة فى سرعة التعبئة ودقة الحركات ، مما أزعج الفرنسيين الذين أصبح الخطر يهددهم خصوصا وانهم شعروا بأن وجود دولة المانية موحدة على حدودهم الشمالية يهدد سلامة بلادهم وياتوا يطالبون امبراطورهم نابليون الثالث باحراز بعض المكاسب للفرنسيين ، مما اضطره الى أن يطالب بروسيا ببعض التعويضات الاقليمية التى رفضها بسمارك وعلى كل حال فما أن انتهى بسمارك من النمسا الا وأخذ يستعد لمواجهة فرنسا ، ومع ذلك فقد كان يهيمه أن تكون فرنسا هى البادئة بالعدوان ، أو تظهر أمام العالم الاوربى أنها المعتدية ، حتى يوجد المبررات التى تجعله يخوض الحرب ضدها .

ونتيجة لفشل سياسة نابليون الثالث فى حل مشاكل بلاده الداخلية بدأ يفتش عن انتصارات عسكرية أو سياسية يستطع بها تقوية اركان حكمه ، هذا ما جعله بغامر بالدخول فى حروب خارجية حتى يشغل الراى العام الفرنسى عن الاهتمام بمشاكل فرنسا الداخلية .

ولما أثبتت مسألة وراثة العرش الأسبانى الشاغر بعد فرار ايزابيلا ملكة اسبانيا من بلادها ، نتيجة لقيام الثورة ضدها عام ١٨٦٨م

عرض على بساط البحث اختيار الأمير ليوبولد قريب قيصر بروسيا ، وكان ذلك مخالفا لرغبة فرنسا لأنه قد يؤدي الى احاطتها بالأعداء مما جعل امبراطورها يعترض على ذلك الترشيح بصورة علنية .

ولما عرض الأمر على الأمير ليوبولد تردد في القبول ورأى عرض الموضوع على ملك بروسيا ، ولكن بسمارك انتهز هذه الفرصة ونجح في اقناع الملك والأمير بالقبول ، ولما علمت فرنسا بما حدث زاد فوران الغضب لدى الرأي العام الفرنسى وكلفت الحكومة الفرنسية سفيرها في برلين بمقابلة ملك بروسيا الذى كان يقضى فصل الصيف في « امز » Ems ليطلب منه التدخل لوقف الترشيح ، وقد تمكن من ذلك ، ولكن الحكومة الفرنسية طالبت بالحصول على تعهد كتابى ، وألا يسمح للأمير « ليوبولد » بقبول هذا المنصب في المستقبل ، ولما حاول السفير الفرنسى مقابلة ملك بروسيا للمرة الثانية رفض الملك وليم اجابة هذا الطلب .

وقد انتهز بسمارك هذه الفرصة وسعى لاحباط أى محادثات تقرب بين الدولتين كما قام بعقد محالفة بين بلاده وأسبانيا ، وعندما أرسل الملك البروسى الى بسمارك برقية بخصوص مقابلته مع السفير الفرنسى ، نشرها في الصحف بأسلوب أثار الشعور الوطنى في كل من الدولتين فقام بتغيير بعض الفاظها بحيث يبدو لمن يقرأها أن السفير الفرنسى قد أهان الملك ، وأن الملك رد هذه الإهانة أضعافا ، مما أثار الشعب الفرنسى وطالب بالحرب ، واضطر الامبراطور الفرنسى ، الى استدعاء قوات الاحتياطى وعلان الحرب على بروسيا ، وكان هذا ما يسعى اليه بسمارك . وبالنسبة لموقف أوروبا من هذه الحرب فقد وقفت أوروبا تقريبا على الحياد مما جعل فرنسا تنقف وحدها أمام بروسيا ، ومع أن جيش فرنسا كان منظمًا فتمدد كان الجيش البروسى أكثر تنظيمًا ، وبدلا من أن ينقل الجيش ساحة القتال الى جنوب ألمانيا انقض الجيش البروسى عليه وحطمه تحطما خلال شهر واحد من قيام الحرب وتقدمت القوات البروسية داخل الأراضى الفرنسية بعد هزائمها للثورات الفرنسية في مواقع متتالية اضطرتها الى الانسحاب من اقلبيى الألزاس واللورين ، ولما تقدمت القوات البروسية نحو باريس اضطر الامبراطور نابليون الثالث الى التنازل عن القيادة العليا للجنرال

« بازين » Bazaine الذى أظهرت الأحداث أنه لم يكن مؤهلا لهذا المنصب حيث كان دائم التردد والتباطؤ مما أفقد الجيش الفرنسى توازنه ، وأدى الى نجاح القائد البروسى « فون ملفكة » فى تطويق الجيش الفرنسى فى « سيدان » وانزال هزيمة ساحقة به مما أرغم حوالى مائة ألف من القوات الفرنسية على الاستسلام ، ووقوع الإمبراطور نابليون الثالث فى الأسر ، واجباره على التسليم فى ٢ سبتمبر ١٨٧٠ .

ولقد كان لكارثة سيدان اثر سريع على تطور الموقف فى باريس فقد تعالت الأصوات تطالب باعلان جمهوريه مؤقتة كى تتولى الدفاع عن فرنسا وتحاول اخراجها من أزمتها ونتيجة لذلك سقط النظام الإمبراطورى فى فرنسا وألغت حكومة برئاسة « جمبتا » كان جل همها انهاء حالة الحرب بأسرع ما يكون ، على أن لا تفقد فرنسا شيئا من أراضيها . ونظرا لاصرار ألمانيا على ضرورة تنازل فرنسا عن بعض أراضيها استؤنفت الحرب وانتهت بحصار الألمان لباريس وتعرض سكانها للمجاعة ، ونتيجة لذلك نقلت القيادة الحربية الفرنسية مقر قيادتها الى مدينة تور حتى تتمكن من ادارة المعارك ضد الغزاة من هناك ، وخلال ذلك تمكن الزعيم الفرنسى جمبتا Gambetta من جمع جيش بلغ تعداده حوالى مائة وثمانين ألف جندى لمحاربة الغزاة ودارت رحى المعارك حتى اجبرت باريس على الاستسلام فى ٢٨ من يناير ١٨٧١ ، واضطر الباريسيون الى فتح باب المفاوضات مع الألمان التى أصر بسمارك من خلالها على أن يقوم الفرنسيون بانتخاب جمعية وطنية يكون فى مقدورها أن تقبل أو ترفض الصلح مع الألمان مقابل فقدها لبعض أراضيها .

ونظرا لاصرار جمبتا على عدم التنازل عن شسبر واحد من أراضى بلاده ، ورغبة من الفلاحين الفرنسيين فى احلال السلام فقد عقدت الجمعية الوطنية اجتماعا فى مدينة بورجو ثررت فيه الموافقة على الصلح مع الألمان وانتخاب « تير » Thiers رئيسا للسلطة التنفيذية فى فرنسا ومنحه تفويضا باجراء مفاوضات الصلح على أن الموقف فى فرنسا سرعان ما اشتعل فجأة ، وخرج من يد الجمعية الوطنية حيث قامت ثورة فى فرنسا تزعمتها الطبقة العاملة والمتوسطة واقامت حكومة جديدة فى باريس ، وهى الحكومة

التي يطلق عليها البعض « كومون باريس » والتي يعتبرها بعض المؤرخين أول محاولة في التاريخ الحديث لاقامة حكومة اشتراكية بأسلوب الفهم الماركسي .

وقد أعلن كومون باريس الثورة على الجمعية الوطنية وناشد المدن الفرنسية الأخرى أن تحذو حذوه ليس فقط من أجل الدفاع عن استقلال فرنسا ضد الغزو الألماني ولكن أيضا للكفاح من أجل بناء نظام اشتراكي وابعاد القوى الملكية عن الحكم ، وبالفعل تكونت في فرنسا كومونات متعددة . ولكن الجمعية الوطنية بزعامة « تيير » استطاعت القضاء على هذه الكومونات بسرعة حيث قررت استخدام جيشها المنهزم أمام المانيا في القضاء على هذه الحركة . فدخل الجيش الفرنسي باريس واستعمل كافة أنواع البطش والقتل في الثوار حتى قضى في باريس وحدها على ما يقرب من ١٣ ألف من الثوار .

وابان هذه المعارك كان « تيير » يقوم بالمفاوضات مع بسمارك تلك المفاوضات التي انتهت بصالح فرنكفورت في مايو ١٨٧١ والتي بمقتضاها اجبرت فرنسا على التنازل عن الألزاس وشمطر كبير من اللورين وكذلك مدينة « Metz » وفرض عليها غرامة حربية قدرها خمسة مليون فرنك تجمع في خلال ثلاث سنوات ثم تدبير ما يحتاج اليه الجيش الألماني حتى يتم دفع هذه الغرامة .

ولثتل وطأة الاحتلال الألماني الجاثم على صدر أراضى فرنسا الشمالية ، قام « تيير » بانتعجيل في دفع الغرامة عن طريق القروض الداخلية واستطاع أن يدفعها في ظرف ستة أشهر ويخلص فرنسا من استمرار اذلال المانيا لها لدرجة أن أطلق عليه الفرنسيون محرر الوطن .

وقد استغل بسمارك انتصارات بلاده على فرنسا وبدأ في التفاوض مع ملوك وأمراء الولايات الألمانية من أجل تحقيق وحدة المانيا تحت زعامة بروسيا ، وتم اختيار النظام الاتحادي كنظام للدولة الألمانية الجديدة ، واختيار الملك « وليم الأول » امبراطورا لمانيا .

وفي قصر المانيا بفرساي أعلنت الامبراطورية الألمانية ، وتم من

خلالها اقامة دولة المانية موحدة في الشئون الخارجية والعسكرية برئاسة  
وليم الأول ملك بروسيا الذى حمل لقب قيصر المانيا ، وبذلك دخلت المانيا  
في عداد الدول العظمى .

وبعد ان حقق بسمارك لألمانيا وحدتها تغيرت سياسته التى كانت  
تستند على ضرورة دخول بلاده الحروب حتى يتحقق لها الوحدة الى  
سياسة الحيولة دون وقوع حرب في أوروبا خصوصا وأنه كان يعتقد أن  
المانيا تحتاج الى السلم حتى تستطيع الاحتفاظ بالانتصارات التى احرزتها  
وقد ساعده على ذلك أن أوروبا كانت منشغلة بالمشكلات التى أعقبت الثورة  
الصناعية وما نتج عنها من آثار سياسية واقتصادية واجتماعية ، ونتيجة  
لذلك استمر السلام في أوروبا لأطول فترة في تاريخها الحديث ، وهى الفترة  
ما بين ١٨٧٠ — ١٩١٤ م .

ولما كانت عملية توحيد المانيا قد تمت على حساب اقتراع  
الألزاس واللورين من فرنسا وضما للاتحاد الألماني وكان بسمارك على  
قناعة تامة بأن الفرنسيين ، وان رضوا مؤقتا بالأمر الواقع فإنهم سيحاولون  
استرجاع ما أخذته منهم المانيا عن طريق اقامة تحالف دولى معاد  
للإمبراطورية ، ومن هنا بذل بسمارك شتى الجهود لعزل فرنسا دبلوماسيا  
وافشال مخططاتها في تكوين أى تحالف ضد المانيا فبدأ الاتصال بالإمبراطوريتى  
النمسا والمجر ، والروسيا وفي عامى ١٨٧٢ ، ١٨٧٣م تم الالتقاء مع زعماء  
هذه القوى في برلين ، ودخلت العلاقات بين المانيا والإمبراطوريتين  
الكبيرتين مرحلة الاتفاقات والمواثيق فعمدت اتفاقية سرية ببادل المساعدات  
العسكرية بين المانيا وروسيا اذا هوجمت احدهما من جانب دولة  
ثالثة ، كما عقد اتفاق آخر وقعته في روسيا والمانيا والنمسا ويتضمن  
تساور هذه الدول في الوصول الى تفاهم مشترك حول خطة العمل الحربى  
في حالة الاعتداء من جانب دولة أخرى على احدى دول التحالف .

وقد أطلق على هذا الوفاق والتفاهم اسم « عصابة الأباطرة الثلاثة »  
ويبدو ان هذه العصابة كانت تحمل معول هدمها في يدها حيث اصطدمت  
مصالح روسيا التيصرية في البلقان مع مصالح النمسا مما أخرج وضع  
المانيا وفرض عليها أن تختار بين ارضاء النمسا أو ارضاء روسيا ، ولما

راى بسمارك أن ارتباط مصالح بلاده بالنمسا أكثر منها مع روسيا سارع بتوثيق تحالفه مع فينا ، وعقد معها اتفاقا فى أكتوبر ١٨٧٩ يقضى بأن تقدم كل من ألمانيا والنمسا المساعدة للأخرى بكل قواها العسكرية اذا هوجمت احداهما من جانب روسيا القيصرية أما اذا هوجمت احدى الدولتين من جانب دولة أخرى غير روسيا ، فان الدولة الثانية تقف موقف الحيساد المشوب بالتعاطف تجاه حليفها وقد ظل هذا التحالف يمثل حجر الزاوية فى سياسة ألمانيا الخارجية ، كما كان محورا للارتكاز الذى قصد به بسمارك عزل فرنسا عن الدول الأوربية الكبرى .

ولما حاول بسمارك ضم ايطاليا الى التحالف الثنائى ليصبح تحالفا ثلاثيا لم يجد فى ذلك صعوبة نظرا لأن ايطاليا كانت حريصة على أن تتحالف مع دولة كبرى مثل ألمانيا يمكن أن تساندها فى التخلص من مشكلاتها الداخلية وخاصة مع البابوية التى تعتمد على ولاء العالم الكاثولىكى لها وأيضا فى تحقيق أحلامها التوسعية بعد أن خاب أملها فى الاستيلاء على تونس حيث سبقتها فرنسا واستولت عليها فى عام ١٨٨١م لذلك رحبت ايطاليا بالانضمام الى التحالف الثنائى فى عام ١٨٨٢ فنشأ التحالف الثلاثى من برلين — فينا — روما ثم اتسع بعد ذلك فشمّل رومانيا والصرب .

هذه كانت سلسلة التحالفات التى أوجدها بسمارك بفرض عزل فرنسا واضعاف موقفها ، وقد مكنت هذه التحالفات من عزل فرنسا عزلا يكاد يكون تاما .

وعند تحليلنا لمصادر القوة والضعف فى هذه التحالفات يتضح ما بلى :

أولا — نواحي القوة :

- ١ — سهولة الانصال بين القوى المتحالفة حيث أنها تتمركز فى منطقة متقاربة .
- ٢ — ضخامة القوة الاقتصادية للدول المتحالفة .

ثانيا — نواحي الضعف :

- ١ — أن هذا التحالف ضم دولتين متنازعتين هما النمسا والصرب ، مما أدى الى اثاره المشاكل القائمة بينهما داخل التحالف .

٢ — وجرّد ثغرات واضحة داخل نصوص المعاهدات تمكن بعض دول التحالف من عدم الالتزام بالمواثيق عند اللزوم وتفسيرها بالطريقة التي تتلاءم مع مصلحتها .

فعلى سبيل المثال استخدم ضمن النصوص تعبير « العدوان غير المستفز » بمعنى أن أى دولة داخلة في الحلف ليست ملزمة بالدخول في الحرب إلا إذا اعتدى على حليفها من قبل دول أخرى أما إذا استنزفت حليفها دولة أخرى مجاورة لدرجة تدفعها الى الحرب فإن دخول دول الحلف لمساعدتها ليس ملزما ولنضرب أحد الأمثلة لتوضيح ذلك .

إذا اعتدت فرنسا على ألمانيا فإن على إيطاليا أن تسارع لمساعدة ألمانيا أما إذا عمدت ألمانيا الى استفزاز فرنسا الى الدرجة التي تدفع فرنسا لمهاجمة ألمانيا فإن إيطاليا ليست ملزمة في هذه الحالة بالدخول في الحرب .

وعلى أى حال قد تمكن بسمارك بهذه التحالفات من عزل فرنسا عن بقية الدول الأوروبية ويبقى أن نتحدث عن جانب آخر من سياسة بسمارك الدولية وهو دخول ألمانيا في المجال الاستعماري لقد حاول بسمارك في بداية الأمر ابعاد بلاده عن المجال الاستعماري خارج أوروبا حتى لا يزعج بريطانيا ، ويدفعها الى التقارب مع فرنسا ، ولكن ظروف النهو الصناعي داخل بلاده كانت أقوى من أن يقف بسمارك أمام الرغبة في تكوين مستعمرات للحصول منها على المواد الخام اللازمة للصناعة وأيضا لتصريف المنتجات التي تقوم المصانع الألمانية بتصنيعها ونتيجة لذلك تأسست الجمعية الألمانية الاستعمارية في عام ١٨٨٢م ، كما بدأت فكرة تكوين مستعمرات ألمانية خارج أوروبا تسير الى حذ التنفيذ فأسس الألمان أربع مستعمرات في جنوب غرب وشرق افريقية ( مثل الكاهرون وتوجلاندا ) كما امتد نفوذهم ناحية الشرق الأقصى فوصلوا الى غينيا الجديدة ( ايربان الغربية ) واستطاعوا الحصول على قاعدة بحرية في جزر مارشال بمنطقة الباسيك ، كل ذلك جعل الدول الأوروبية تعترف بألمانيا كدولة استعمارية وأكبر دليل على ذلك أن المؤتمر الذي عقدته الدول الأوروبية بشأن تسوية نزاعها حول افريقية عقد في برلين عام ١٨٨٤م ورأس المؤتمر بسمارك نفسه .

وعلى الرغم من كل ذلك فقد كان بسمارك يعمل على ارضاء بريطانيا والتقرب منها ، لدرجة ان علاقات بلاده معها كانت طيبة للغاية ، غير ان ذلك لم يستمر طويلا ، فعندما توفى الامبراطور الالماني وليام الاول في عام ١٨٨٨م بدأت سياسة بسمارك الخارجية في الانهيار ، وبخاصة عندما وصل الامبراطور الشاب وليام الثانى الى الحكم وقيامه بتنحية بسمارك من منصب المستشارية في عام ١٨٩٠م وتولية « فون كابريفى » Von Caprivi مكانه ، وذلك للخلاف بينهما حول الموقف من روسيا القيصرية وزيادة التوسع الاستعماري .

ونتيجة لعدم ارتياح بريطانيا والروسيا من سياسة الامبراطور الالماني الجديد ، بدأ التقارب البريطاني الفرنسي يأخذ طريقه ، مما نتج عنه عقد الاتفاق الودى بينهما في عام ١٩٠٤ كما مهد الطريق لظهور التحالف الروسى الفرنسى في عام ١٨٩٤م وادى أخيرا الى قيام التحالف الانجليزى الروسى الفرنسى في عام ١٩٠٧ فيما يعرف الوفاق الثلاثى .

ثم أخذت علاقات انجلترا مع المانيا طريقها الى التدهور خصوصا بعد أن قام الامبراطور الالماني بمساندة البرتغال ضد بريطانيا في حرب أبوير ، ومحاولاته المتكررة للحصول على المزيد من المستعمرات والقواعد البحرية ، ورغبته في انشاء بحرية المانية قوية تنافس القوى البحرية البريطانية ، وابعاده للعديد من المشاكل التى نجم عنها على سبيل المثال الازمة المراكشية ووقوف بريطانيا بجانب فرنسا خلال هذه الازمة .

وعند تحليلنا لمجمل الانجازات التى تحققت في عهد وليام الثانى في المجال الاستعماري نجدها ضئيلة فعلى الرغم من ان وليام الثانى كان صاحب فكرة نزول المانيا بكل ثقلها الى المجال الاستعماري فان محصلة المستعمرات التى حصلت عليها المانيا في عهده كان أقل من المستعمرات التى حصلت عليها في أيام بسمارك ، والى جانب ذلك فان بلاده فقدت الكثير في المجال الدولى عما كان عليه الحال خلال تواجد بسمارك ، كما انها عقدت صداقة انجلترا وادى الى تقاربها مع فرنسا .

وعلى أى حال فقد حاولت المانيا ممارسة ظاهرة استعمارية جديدة

تمثلت في الرغبة في الحصول على الثروات الاقتصادية التي تحتاج إليها دون أن يكون ذلك عن طريق الاستعمار المباشر ، وهذا ما يطلق عليه اسم الامبريالية ولتحقيق ذلك عملت ألمانيا على تنفيذ عدة مشروعات من أهمها :

١ - مشروع وسط أوروبا Mittle Europa .

٢ - مشروع الاتجاه نحوالشرق Drang Nach Osten .

وقد قصد وليم الثاني بالمشروع الأول تكوين اتحاد جمركي في وسط أوروبا لزيادة الروابط الاقتصادية بينها مما يتيح لألمانيا اجتذاب الناطقين بالألمانية الذين يعيشون خرج حدودها ، واستغلال هيكلها الاقتصادي الكبير في الهيمنة على تلك المنطقة .

أما المشرع الثاني وهو الاتجاه نحو الشرق فالهدف منه الوصول الى ممتلكات الدولة العثمانية في الشرق عن طريق بناء سكك حديدية ، وربط اقتصادها بألمانيا عن طرق المواد الخام بها ، وجعل هذه البلاد سوقا لتصريف المنتجات الصناعية الألمانية .

وقد عارضت إنجلترا والروسيا هذه المشروعات معارضة شديدة ثم جاء قيام الحرب العالمية فأوقفها تماما (٢) .

---

(٢) محمد أنيس : تاريخ أوروبا المعاصر .